وايصالها باعتبارها مناخا روحيا صافيا لا تعوقه ضرورات التكلم على التفصيلات التي تشرح للعلاقات الاجتماعية ، ولا نستطيع القول ان الشعر اللبناني في تلك الفترة واكب او اقتبس النظرية السياسية التاريخية ، اذ ان المسألة اكثر تعقيدا من ذلك ، ولكن ما يعنينا هنا ، هو نجاح الشعر في ان يكون المعبر الاكثر قدرة عن القيم المطلقة التي تكونت في الوعي اللبناني ، وانه لمن السهولة القول بأن شاعرا كسعيد عقل مثلا مثالي او رمزي مثلا· ان لسعيد عقل تجربة فريدة في الشعر · لقد حمل الشاعر المفاصل الاساسية التي كانت تقولها النظرية اللبنانية ، وانشأ علاقات بين القيم الروحية وتكلم عن الجغرافيا والطبيعة اللبنانية بوصفها موضوعا للوصف والتأمل ، وليس للصراع او الاندماج · وهذا ما يميز المنطلق الاساسي للنظرية اللبنانية حين تنتقل الى الشعر · ففي النظرية الجغرافيا ، وفي الشعر الطبيعة التي تنتج القيم ·

« الى فيثاغورس ، أحد علية العقول في جميع الازمنة ، يرقى القول : « سأخاطب الحكيم فأبعدوا الجهال » · اذن منذ عهد باعد في القدم ، شعر سراة الفكر بان العامة خطر على اصحاب التعاليم الرفيعة » ·

هذا الكلام للشاعر سعيد عقل · قاله في محاضرة القاها في الجامعة الاميركية في بيروت في ١٣ كانون الثاني ١٩٥٤ ، واستعيدت في الكتائب اللبنانية ببيروت في ١٨ اذار من العام نفسه ·

ويقترح سعيد عقل في محاضرته مجتمعا خاصا للنخبة ، يبتعد بها عن ضجيج العامة وتفاهتها « ان لم تكن (للنخبة) انديتها المتنفسة بالرفعة ، اضطر افرادها الى انتجاع الراحة في ملاهي الطبقات الاخر حيث الاثر مزدوج الاساءة : يبدد جو النبل ويزعزع ثقة العلية بعليتها ·

ويبدو الشاعر منسجما مع مثله الثقافية العليا في طلبه عزل (طبقة) المثقفين عن سائر الطبقات الاخرى · فالطبقات تلك قد انجرفت مع متطلبات الحياة واستغرقتها الشؤون الصغيرة ، ولم تعد تملك متسعا من الوقت والروح لاقامة الصلة مع القيم التي تكونت بمعزل عن مسارات الشعوب · الانتماء للنخبة ، برأيه ، انتماء لتاريخ خاص ، ازلي ، لا ينبثق عن التاريخ الاجتماعي ، بل يعلو فوقه ويستمر في الزمن دون تقاطع ، والفكر الذي تنتجه النخبة لا تهم هويته او موقعه ، فالفكر ابداع وكفى · والمبدعون يلتقون مهما باعد بينهم التاريخ ، يلتقون في ذاك الامتياز الكبير الذي يجعل منهم صانعي التاريخ دون ان يلحقهم دنس الاقتراب من تفاهة الواقع ·

ما تقوله تلك المحاضرة ، لا يتعارض بشكل من الاشكال مع اي من تجليات سعيد عقل الفكرية ، سواء في شعره او في اكتشافاته الاخيرة حول اللغة وتنظيم المجتمعات ، فشعره لم يخرج مرة في موضوعاته عن القيم النبيلة المطلقة ، وهذه القيم تحضر في كل صنوف الشعر بدءا بالشعر الوطني مرورا بالغزل ووصولا الى شعر المناسبات · لم يقل شيئا خارج جهاز القيم النبيلة السرمدية ، وفي عمله المسرحي ـ الشعري ، « قدموس » جعل الصراع والمأساة ينبعان من داخل القيم النبيلة ·

هكذا ينطق سعيد عقل عن فكر كلي منسجم في عناصره ورؤيته للعالم · هذا الفكر الذي تكون عند صاحبه مرة والى الابد ، ولم تستطع اي من الاحداث الاجتماعية ان تغير في